

العقلية العسكرية: رؤية من الداخل

كتبه ياسر الغرباوي | 10 ديسمبر، 2013



تولى العسكريين زمام القيادة كاملة في المجتمعات والدول والمؤسسات أمر بالغ الخطورة والتعقيد، فالمؤسسات العسكرية والأمنية لها نظام حاكم للأفكار، ورؤية نفسية خاصة يتم غرسها في عقول وقلوب كل من يلتحق بها وينتسب إليها، وهذه الحزمة من الأفكار والتصورات قد تكون صالحة لإدارة شؤون المؤسسات العسكرية والأمنية داخل الثكنات وساحات الحرب لتحقيق أقصى درجات الانضباط والتواصل بين القيادات والجنود وقت المعارك والإلتحام مع الخصوم، ولكن تطبيق هذه الأفكار الحاكمة للعقل العسكري على الحياة المدنية يسبب مصائب كبيرة، وإخفاقات بالغة، سأتناول في هذا المقال أهم الأفكار الرئيسية التي تستولى على العقل العسكري حيثما حل أو ارتحل لنُدرك مدى خطورة هيمنة العقل العسكري على الفضاء المدني والسياسي والإجتماعي سواء على المستوى المحلي أو على المستوى العالي.

الخبرة التاريخية

قررت اليابان رفع الراية البيضاء والاستسلام لدول الحلفاء في الحرب العالمية الثانية لتسحب من الساحة العسكرية بعدما لحق بها الأذى البالغ والكبير من جراء الحرب فكان الرد الأمريكي هو الهجوم النووي على هيروشيما وناجازاكي في أغسطس 1945!!!

انهزمت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وقررت الانكفاء على نفسها وإعادة بناء ما دمرته الحرب فكان الرد من الدول الأوروبية المنتصرة هو فرض الغرامات الباهظة على الألمان واقتطاع أجزاء من التراب الألماني لصالح الدول المنتصرة والقيام بطلعات جوية من الدول المنتصرة لتدمير المتاحف والمعالم الألمانية لتحقيق أكبر قدر من المهانة والإذلال للشعب والأمة الألمانية!!!!

في حرب الخليج الثانية في العام 2003 قدم العراق تنازلات ضخمة للمجتمع الدولي وفتح منشأته العسكرية للتفتيش وأخضع كل مفاصل الدولة السيادية للرقابة الدولية ولكن أصرت القيادة

العقل الصفري

كل ما تقدم يؤكد لنا أن العقل العسكري عقل صفري أحادي النظرة لايؤمن بالحلول التفاوضية ولا يعمل بفلسفة دع الجميع يربحون في النزاع، وإنما النفسية العسكرية قائمة على فكرة لابد من تكسير الخصم وشل حركته وتدمير قدرته على الحركة وضرب نقاط قوته بقسوة ثم بعدها يبدأ التفاوض والحوار، وهذا قد يكون مفهوماً في ساحات المعارك، لكن المشكلة الكبرى تبرز عندما تتولى قيادة عسكرية زمام قيادة دوله من الدول أو مجتمع من المجتمعات ستتحرك في إتخاذ قراراتها بناء على هذا العقلية الحاكمة وستنظر لكل تدافع في المجتمع المدني وصراع سياسي بين الأحزاب باعتباره صراع عسكري، لابد من تكسير عظام الخصوم فيه وتركيعهم ثم بعدها يبدأ الحديث معهم؛ وهذا يسبب كوارث قاتلة ومصائب كبيرة تحل بالمجتمع والدولة والسلام العالي؛ فالمجتمع المدني كل يوم هو في تدافع وتنافس وتشاحن حول العديد من الرؤى والتصورات الخاصة بطريقة إدارة الدولة والمجتمع والناس، فالحياة السياسية قائمة على التناقض و التخاصم بين الأيديولوجيات المختلفة فستجد في المجتمع أحزاب تتبنى الرؤية الاشتراكية، وأخرى تُنادي بالليبرالية، وثالثة تؤمن بالأيديولوجية الإسلامية وفي هذه الحالة لا استقرار للمجتمع إلا بالحوار والتواصل والتفاوض وتقديم التنازلات بين الأطراف وعقد التحالفات والصراع عبر صناديق الاقتراع، وكل هذه الأشياء السابقة لا يتحملها العقل العسكري الذي لا يعرف سوى لغة الحسم وتحقيق الإنتصار بالضربة القاضية ولمس الأكتاف .

المخالف خائن

ويزيد من تعقيد هذا المشهد السابق هو أن العقل العسكري مبني أيضاً على أن مخالفة الأوامر العسكرية جريمة كبرى قد تصل عقوبتها للإعدام وقت الحروب - وعندما كنت أخدم بالجيش كنت أرى مدى الفزع الذي ينتاب الجندي عندما يصفه أحد القادة بأنه يُكسر الأوامر لأن هذا يعني أن هناك عقاباً أليماً ينتظره-.

فلك أن تتخيل سقف الحرية والعدالة في المجتمع عندما تتولى قيادة عسكرية زمام القيادة فيه؛ حيث سيصبح كل مخالف في الرأي في مخيال القيادة خائن، وضد الأمن القومي ومصالح البلد العليا ينبغي محاكمته، والتضييق عليه؛ لأن العقل والنفسية العسكرية لم تتدرب على أن تنوع الآراء وتعدد الحلول ثراء للمجتمع والدولة ول الأمة . وإنما النفسية العسكرية تنظر للعالم وللمجتمع والناس على أنهم أفراد في كتيبة عسكرية ينبغي منهم تنفيذ الأوامر بدون مناقشة ولا تفكير ولا أخذ ولا رد.

الخلاصة

وبناء على ما تقدم نُدرِك جميعاً أن المجتمعات والدول التي تريد أن تحقق نهضة وحضارة وتقدم لابد لها من ضبط العلاقات العسكرية المدنية من خلال وضع القواعد والسياسات الكفيلة بتحقيق

تناغم ما بين المؤسسات العسكرية والهيئات السياسية والقضائية في الدولة حتى لا تطغى مؤسسة على مساحة عمل الهيئة الأخرى، أو بالمعنى الدقيق حتى لا يتفرد عقل مؤسسة ما من مؤسسات الدولة بقيادة المجتمع والدولة نحو ما لاتحمد عقباه.

هذا المقال نُشر لأول مرة في موقع مصر العربية

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/1191](https://www.noonpost.com/1191)